

## مفهوم القرية والمدينة عبر التاريخ

شهد العالم عبر تاريخه تطوراً كبيراً في أشكال تنظيم المجتمعات البشرية، وتأتي القرى والمدن كأحد أهم الأشكال التي ميزت هذه المجتمعات، و إن القرى والمدن تختلفان في طبيعة تكوينهما، وأدوارهما الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. عبر التاريخ، وتطور القرية والمدينة جاء بسبب استجابة الإنسان لاحتياجاته البيئية والاجتماعية والاقتصادية. و هنا سوف نتناول مفهوم القرية والمدينة عبر العصور، بدءاً من المجتمعات الزراعية المبكرة وصولاً إلى المدن المعاصرة.

### أولاً: مفهوم القرية عبر التاريخ

#### ١. القرى في العصور البدائية:

نشأت القرى الأولى مع انتقال الإنسان من نمط الحياة البدوي القائم على الصيد والجمع إلى نمط الحياة الزراعية المستقرة. اكتشاف الزراعة كان العامل الحاسم في استقرار المجتمعات، حيث ساعد في تأمين الغذاء واستقرار السكان في أماكن محددة، القرى البدائية كانت صغيرة نسبياً وتقوم على زراعة الأرض ورعي الحيوانات. اعتمدت على الموارد الطبيعية المحلية مثل الأنهار والمياه الجوفية للري. كانت البيوت بسيطة ومبنية من الطين والحجارة، وكان يتم ترتيبها في مجموعات متقاربة لتعزيز الأمان والتعاون بين الأفراد.

#### ٢. القرية كمجتمع زراعي:

مع تطور تقنيات الزراعة، وخاصة في مناطق مثل بلاد الرافدين ووادي النيل، بدأت القرى في النمو من حيث الحجم والتعقيد أصبحت القرى مجتمعات زراعية تعتمد على زراعة المحاصيل وتربية الحيوانات بشكل منظم، ولقد أصبح هناك تعاون في أعمال الزراعة وهذا التعاون كان أساس التنظيم الاجتماعي داخل القرية، وغالباً ما كان يتم تقسيم العمل بين السكان حسب القدرات والاحتياجات، وكان يتم توزيع المحاصيل على الجميع. هذا النمط أدى إلى تعزيز الروابط الاجتماعية والتعاون بين الأسر.

### ٣. القرية والدين:

كان للدين دور كبير في تنظيم حياة القرى. حيث كان السكان يؤمنون بالآلهة التي ترتبط بالزراعة والطبيعة، مثل آلهة الخصوبة والأمطار. لذلك، غالباً ما كانت توجد معابد أو أماكن عبادة صغيرة في كل قرية، حيث تُقام الطقوس الزراعية والدينية.

٤. القرى في العصور الوسطى:

في أوروبا، كانت القرى تشكل جزءاً كبيراً من التنظيم الاجتماعي خلال العصور الوسطى. النظام الإقطاعي كان يسيطر على الحياة الريفية، حيث كانت الأرض تملك من قبل النبلاء ويعمل الفلاحون في خدمة النبلاء مقابل الحماية، وكانت القرى تتميز بحياة اجتماعية بسيطة ومحدودة، حيث كانت المجتمعات معزولة إلى حد كبير بسبب غياب البنية التحتية والتواصل مع العالم الخارجي. وكان الفلاحون يعيشون حياة قائمة على الزراعة وتربية الماشية.

### ٥. القرى في العصر الحديث:

مع ظهور الثورة الصناعية في أوروبا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، شهدت القرى تحولات كبيرة. فقد أدت الهجرة الكبيرة من الريف إلى المدن الصناعية إلى تراجع أهمية القرى كمراكز للإنتاج الزراعي. ومع ذلك، ظلت القرى تلعب دوراً مهماً في توفير الغذاء والمواد الخام للمجتمعات الصناعية، أما في العصر الحديث أصبحت القرى مرتبطة بالهوية الثقافية والتراث، حيث تسعى المجتمعات إلى الحفاظ على القرى كمصدر للثقافة الشعبية والقيم التقليدية. وقد ساعدت التطورات التكنولوجية على تحسين الحياة الريفية من خلال توفير الكهرباء والمياه والطرق.

### ثانياً: مفهوم المدينة عبر التاريخ

#### ١. المدن الأولى:

ظهرت أولى المدن في العالم القديم مع تطور الفائض الزراعي والتجارة. في مناطق مثل بلاد الرافدين ووادي النيل وبلاد السند، بدأت المدن في الظهور كمراكز

سياسية واقتصادية ودينية، ظهرت أوروک في بلاد الرافدين، التي تُعتبر من أقدم المدن في التاريخ (حوالي ٤٠٠٠ قبل الميلاد). كانت المدن الأولى تمثل نقطة تجمع سكاني يتجاوز الحاجة الغذائية، لتصبح مراكز لحكم الملوك، والتجارة، والديانة.

## ٢. المدينة في الحضارات القديمة:

في الحضارات القديمة مثل مصر الفرعونية، وبلاد الرافدين، وحضارة الإغريق، وروما، كانت المدن تشكل مراكز للحكم والثقافة والدين. كانت المدن تُبنى حول القصور الملكية والمعابد، وكانت التجارة والتبادل الاقتصادي تشكل جزءاً كبيراً من حياة سكانها، وفي هذه المدن، ظهرت الطبقات الاجتماعية بوضوح. في القمة كانت توجد الطبقات الحاكمة والكهنة والتجار الأثرياء، بينما كانت الطبقة الدنيا تتألف من الحرفيين والعمال والفلاحين. كانت هذه الطبقات جزءاً من بنية المدينة الاجتماعية والاقتصادية.

## ٣. المدينة في العصور الوسطى:

في أوروبا خلال العصور الوسطى، لعبت المدن دوراً رئيسياً في الحياة الاقتصادية والسياسية. بالرغم من أن غالبية السكان كانوا يعيشون في القرى، إلا أن المدن كانت مراكزاً للتجارة والحرف، وكانت تجذب التجار والحرفيين من المناطق الريفية. ولقد كانت المدن في العصور الوسطى محاطة بأسوار للحماية من الغزوات. وكانت تُدار من قبل نخب محلية تضم التجار والأعيان. في هذه الفترة، بدأت تظهر نقابات التجار والحرفيين، وهي مؤسسات كانت تحمي حقوق العاملين وتنظم التجارة.

## ٤. المدينة في العصر الحديث:

مع ظهور الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، تغيرت طبيعة المدن بشكل جذري. أصبحت المدن مراكز للصناعة والإنتاج، وشهدت زيادة كبيرة في عدد السكان بسبب الهجرة من الريف إلى المدن بحثاً عن فرص العمل. وتوسعت المدن بشكل سريع، وظهرت مشكلات اجتماعية جديدة مثل الاكتظاظ السكاني، وسوء الأوضاع

الصحية، والفقر. ومع ذلك، تطورت المدن لتصبح مراكز للنقل والاتصالات والثقافة والتعليم.

#### ٥. المدينة في العصر المعاصر (الحديث):

اليوم تعتبر المدن مراكز حضرية متقدمة تجمع بين الأنشطة الاقتصادية، الثقافية، والسياسية. المدن الكبرى مثل نيويورك، طوكيو، وشنغهاي أصبحت مراكز عالمية مترابطة بفضل العولمة والتكنولوجيا، والمدن المعاصرة تواجه تحديات كبيرة مثل التلوث، واكتظاظ السكان، ونقص الموارد. ومع ذلك، تطورت التكنولوجيا الحضرية لتقديم حلول لهذه التحديات، بما في ذلك المدن الذكية التي تعتمد على تقنيات الاتصال الحديثة لتحسين جودة الحياة.

وعندما نتناول الفروقات التي كانت بين القرى والمدن إذ ذكرها لويس مومفورد ويمكن ان نعتها فيما يلي:

١- وجود مركز اجتماعي منظم (المعبد)، الذي يستقطب جميع اركان بنية المجتمع.

٢- وجود مجموعة المباني والمرافق المتميزة التي وضحت قدرة الإنسان وقللت اعتماده على الارض وزادت سيطرته على البيئة مثل الطرق المعبدة والجسور ومشاريع الري والبزل وتنظيم ماء الشرب والحرف الصناعية.

ويذكر روبرت ادمز بان هناك خصائص مشتركة لبعض المدن القديمة وهي:

١- وجود المباني العامة كالمعابد والقصور في قلب المدينة التي تمثل المركز الاعلى مستوى من ناحية الخدمات.

٢- دور الطبقة الغنية من السكان التي تقع على امتداد الطرق الرئيسية، بينما دور الطبقة الفقيرة كان يقع خلف الاحياء السكنية للطبقة الغنية وتكون ذات مساحة صغيرة.

٣- الميناء الذي يقع على ابواب المدن ويكون مركزاً تجارياً.

٤- الاسوار التي تحيط باغلب المدن مع الخنادق ويكون هدفها حماية المدينة من الهجمات.

٥- منطقة الضواحي التي تقع خارج السور (خارج سور المدينة)، والتي تتواجد فيها الحقول الزراعية والمراعي وهي تحتضن القرى وتكون خاصة لسكن القروين. وإذا أردنا ان نذكر اهم القرى التي تطورت تدريجياً إلى مدن منها الاربية، نينوى، تبه كورا، اريدو، واور، الوركاء، العقير، لكش، بسمي، واشنونا، ونجد ان هذه القرى تحولت إلى المدن بعد اتساع مساحتها وزيادة عدد سكانها.

وفي الختام نرى ان تطور القرى والمدن عبر التاريخ انعكاساً واضحاً لتطور المجتمعات البشرية. من القرى الزراعية البدائية إلى المدن الكبرى المعاصرة، تطورت حياة الإنسان وتفاعله مع البيئة والمجتمع. القرى قدمت أساساً للاستقرار الزراعي والتعاوني، بينما مثلت المدن قفزة نحو التنظيم الاجتماعي والاقتصادي الأكثر تعقيداً. اليوم، يبقى التفاعل بين القرى والمدن جزءاً أساسياً من هيكلية المجتمعات الحديثة